كان يحنث بمعنى حرى اي يتعبد لمجانبته الاثم نحو تحرج فتفعل في هذه كلها للسلب فصل قال الحسن والضحاك وابن زيد يصرون على الحنث العظيم اي يقيمون على الشرك وقال قتادة ومجاهد الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه وقال الشعبي هو اليمين الغموس وهي من الكبائر يقال حنث في يمينه اي لم يبرها ورجع فيها وكانوا يقسمون ان لا بعث وان الاصنام انداد الله فذلك حنثهم فصل قال ابن الخطيب والحكمة في ذكره سبب عذابهم ولم يذكر في اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك تنبيه على ان ذلك الثواب منه فضل والعقاب منه عدل والفضل سواء ذكر سببه او لم يذكره لا يتوهم بالمتفضل نقص وظلم واما العدل ان لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلم ويدل على ذلك انه تعالى لم يقل في حق اصحاب اليمين جزاء بما كانوا يعملون كما قال في السابقين لان اصحاب اليمين نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته يحسن اطلاق الجزاء في حقه واعلم ان المترف هو المتنعم وذلك لا يوجب ذما وانما حصل لهم الذم بقوله وكانوا يصرون على الحنث العظيم فان صدور المعاصي ممن كثرت النعم عليه اقبح القبائح فقال انهم كانوا قبل ذلك مترفين ولم يشكروا نعم الله بل اصروا على الذنب العظيم وفي الآية مبالغات لان قوله كانوا يصرون يفيد ان ذلك عادتهم والاصرار مداومة المعصية ولان الحنث ابلغ من الذنب لان الذنب يطلق على الصغيرة ويدل على ذلك قولهم بلغ الحنث اي بلغ مبلغا يحتمل فيه الكبيرة واما الصغيرة فتلحق الصغير فان وليه يعاقبه على اساءة الادب وترك الصلوة ولان وصفه بالعظيم مبالغة قاله ابن الخطيب قوله تعالى وكانوا يقولون ايذا متنا الاية هذا استبعاد منهم للبعث وتكذيب له وقد تقدم الكلام على ذلك في الصافات وتقدم الكلام على الاستفهامين في سورة الرعد فان قيل كيف اتى باللام المؤكدة في قوله تعالى لمبعوثون مع ان المراد هو النفي وفي النفي لا تدخل اللام في خبران يقول ان زيدا ليجيء وان زيدا لا يجيء فلا يذكر اللام ومرادهم بالاستفهام الانكار بمعنى انا لا نبعث فالجواب من وجهين احدهما عند التصريح بالنفي وصيغته والثاني انهم ارادوا تكذيب من يخبر عن البعث فذكروا ان المخبر عنه يبالغ في الاخبار ونحن ننكر مبالغته وتاكيده فحكوا الكلام المخبر على طريقة الاستفهام والانكار ثم اشاروا الى ان الانكار الى امور اعتقدوها مقررة لعكسه انكارهم فقالوا ايذا متنا ثم لم يقتصروا عليه بل قالوا وكنا ترابا وعظاما اي وطال العهد بعد كوننا احياء حتى صارت اللحوم ترابا والعظام رفاتا ثم زادوا وقالوا مع هذا يقال لنا انكم لمبعوثون من طريق التاكيد من ثلاثة اوجه احدها استعمال ان ثانيها اثبات اللام في خبره ثالثها ترك صيغة الاستقبال والاتيان بالمفعول كانه كائن ثم زادوا وقالوا او آباؤنا الاولون فقال الله تعالى قل يا محمد ان الاولين من آبائكم والآخرين منكم لمجموعون الى ميقات يوم معلوم يعني يوم القيمة ومعنى الكلام القسم ودخول اللام في قوله تعالى لمجموعون هو دليل القسم في المعنى اي انكم لمجموعون قسما حقا بخلاف قسمكم الباطل قوله ثم انكم ايها الضالون المكذبون بالبعث لآكلون من شجر من زقوم وهو شجر كريه المنظر كريه الطعم وهو المذكور في سورة والصافات وهذا الخطاب عام وقيل لاهل مكة وهو

من

من تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم وقدم هنا الضالين على المكذبين وفي اخر السورة قال واما ان كان من المكذبين الضالين فقدم المكذبين على الضالين لانهم هنا اصروا على الحنث العظيم فضلوا عن السبيل ثم كذبوا الرسول وقالوا ايذا متنا وفي اخر السورة قدم المكذبين بالحشر على الضالين عن طريق الخلاص او نقول ان الكلام هنا مع الكفار وهم ضلوا اولا وكذبوا ثانيا وفي اخر السورة الكلام مع النبي صلى الله عليه وسلم فقدم التكذيب به اظهارا للعناية به صلى الله عليه وسلم قوله من شجر من زقوم فيه اوجه احدها ان تكون من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الجنس اي مبتدئون الاكل من شجر هو زقوم الثاني ان تكون من الثانية صفة لشجر فتتعلق بمحذوف اي مستقر الثالث ان تكون الاولى مزيدة اي لآكلون شجرا ومن الثانية على ما تقدم فيها من الوجهين الرابع عكس هذا وهو ان تكون الثانية مزيدة اي لآكلون زقوما ومن الاولى للابتداء او في محل نصب على الحال من زقوم اي كائنا من شجر ولو تاخر لكان صفة الخامس ان من شجر صفة لمفعول محذوف اي لآكلون شيئا من شجر ومن زقوم على هذا نعت لشجر او لشيء المحذوف السادس ان الاولى للتبعيض والثانية بدل منها قوله فمالئون منها البطون الضمير في منها عائد على الشجر وفي عليه للشجر ايضا وقد تقدم انه يجوز تذكير اسم الجنس وتانيثه وانهما لغتان وقيل الضمير في عليه عائد على الزقوم وقال ابو البقا للماكول وقال ابن عطية للماكول او الاكل انتهى وفي قوله الاكل بعد وقال الزمخشري وانث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في منها وعليه ومن قرا من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تاويل الزقوم لانه تفسيرها فصل قال ابن الخطيب اختلفت اقوال الناس في الزقوم وحاصل الاقوال يرجع الى كون ذلك في الطعم مرا وفي اللمس حارا وفي الرائحة منتنا وفي المنظر اسود لا يكاد آكله يسيغه والتحقيق اللغوي فيه ان الزقوم لغة عربية دلنا تركيبه على قبحه لان زقم لم يجتمع الا في مهمل او في مكروه يقال منه مزق يمزق ومنه زمق شعره اذا نتفه ومنه القزم للدنيء واللوم وافق من هذا ان القاف مع كل حرف من الحرفين الباقيين يدل في اكثر الامر على مكروه فالقاف مع الميم كالقمامة والتقمقم والقمقمة وبالعكس المقامق لتغليظ الصوت والقمقمة هو الشق واما القاف مع الزاي فالزق رزقه الطير والزرقة للحمقة وبالعكس القز للوثوب والتقزز التنفر لتنفر الطبع ثم تركب الكلمة من حروف اجتماعها دليل الكراهة والقبح ثم قرن بالاكل فدل على انه طعام ذو غصة واما ما يقال بان العرب تقول زقمتني بمعنى اطعمتني الزبد والعسل واللبن فذلك للمجانة كما يقال ارشقني بثوب حسن وارجمني بكيس من ذهب وقد تقدم الكلام على الزقوم في والصافات وقوله فمالئون منها البطون بيان لزيادة العذاب اي لا يكتفى منكم بنفس الاكل كما يكتفي من ياكل الشيء لتحلة القسم بل يلزمون منها بان يملؤوا منها البطون وقوله البطون اما مقابلة للجمع بالجمع اي يملأ كل واحد منكم بطنه واما ان يكون لكل واحد بطون ويكون المراد منه ما في باطن الانسان وهي سبعة امعاء فيملؤون بطون الامعاء والاول اظهر والثاني ادخل في التعذيب قوله فشاربون عليه اي على الاكل او على الزقوم لاجل حرارته وحرارته يحتاجون الى شرب الماء فيشربون من الماء الحار قوله فشاربون شرب الهيم وهذا ايضا بيان لزيادة العذاب اي لا يكون شربكم كمن يشرب ماء حارا منتنا فيمسك عنه بل يلزمون ان يشربوا منه مثل ما يشرب الهيم وهو الجمل العطشان فيشرب ولا يروى وقرا عاصم ونافع وحمزة بضم الشين من شرب وباقي السبعة بفتحها ومجاهد وابو عثمان النهدي بكسرها فقيل

King Saud University
Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)